(إصدارات قرآنية)

كتاب

تَلْخِيصُ التَّحْقِيقِ فِي نَفْيِ التَّحْرِيفِ عَنِ القُرْآنِ الشَّرِيفِ

تأليف

سماحة العلامة المحقق السيد علي الحسيني الميلاني

عرض الباحث

السيد علي الرضوي

بغداد - العراق

الحديث عن سلامة النص القرآني ونفي التحريف في كتاب الله العزيز تناوله الاقدمون والمحدثون والمعاصرون من علماء المسلمين كافة والّفوا الكثير في الموضوع ولكن التركيز من بعض الباحثين خصوم مذهب اهل البيت عليهم السلام ركّز على الشيعة الامامية وسدّد سهامه ضدها بوصفها الطائفة الاسلامية التي اكدت التحريف في النص القرآني الكريم ودافعت عن رأيها بالادلة المزعومة وهذا وَهْم وضرب من التهم الباطلة ويستعرض الكتاب الذي نعرضه للقراء الكرام آراء علماء الشيعة على مّر العصور بنفي لهذه التهمة الباطلة والتأكيد على ان القرآن هو ما بين الدفتين ليس غيره، وان ما هو موجود ومتداول اليوم هو عين ما نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

عرض المؤلف الفاضل في كتابه موضوعات مهمة تصدى فيها الاصوات المشبوهة والتي تروم النيل والاساءة لهذه الطائفة الموالية لاهل البيت عليهم السلام ودرء الشبهات التي يثيرها الاعداء من ان الشيعة وحدهم يقولون بعدم سلامة النص القرآني وتحريفه وقد اوجزها المؤلف في كتابه الذي ضم أبواباً وفصولاً ومباحث

سنعرض الى اهمها.

يبدأ الكتاب بالفصل الاول في كلمات اعلام الشيعة في نفي التحريف ويقول: ولقد تعرّض علماء الشيعة منذ القرن الثالث الى يومنا الحاضر لهذا الموضوع في كتبهم في عدّة من العلوم، ففي نفي كتب الاعتقادات يتطرقون اليه حيثما يذكرون الاعتقاد في القرآن الكريم، وفي كتب الحديث يعالجون الاحاديث الموهمة للتحريف بالنظر في اسانيدها ومداليلها، وفي بحوث الصلاة من كتب الفقه باعتبار وجوب قراءة سورة كاملة من القرآن في الصلاة بعد قراءة سورة الحمد وفي كتب اصول الفقه حيث يبحثون عن حجيّة ظواهر الفاظ الكتاب. وهم في جميع هذه المواضع ينصون على عدم نقصان القرآن الكريم، وفيهم من يصرّح بان من نسب الى الشيعة انهم يقولون: بان القرآن اكثر من هذا الموجود بين الدفتين فهو كاذب وفيهم من يقول: بان عليه اجماع علماء الشيعة بل المسلمين، وفيهم من يستدل على النفي بوجوه من الكتاب والسّنة وغيرهما، بل لقد افرد بعضهم هذا الموضوع بتأليف خاص.

هذه هي عقيدة الشيعة في ماضيهم وحاضرهم كما جاء به التصريح به في كلمات كبار علمائها ومشاهير مؤلفيها، ومنذ اكثر من الف عام حتى يومنا هذا.

من ابرز هذه الاقوال وبحسب التسلسل التاريخي:

قول الشيخ الصدوق القمي (ت٣٨١هـ) في (رسالة الاعتقادات المطبوعة مع شرح الباب الحادي عشر ص٩٣): ((اعتقادنا ان القرآن الذي انزله الله على نبيهﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في ايدي الناس، وليس باكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة واربع عشرة سورة... ومن نسب الينا انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب)).

اما الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ): ((انه لم ينقص من كلمة، ولا من آية، ولا من سورة)) (اوائل المقالات في المذاهب المختارات ص٥٥).

ويقول الشريف المرتضى علم الهدى (ت٤٣٦هـ): ((ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار والوقائع العظام، والكتب المشهورة واشعار العرب

المسطورة، فان العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم يبلغه في ما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرضوا كل شيء اختلف فيه من اعراب وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز ان يكون مغيرّاً او منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد)) (نقل هذا في مجمع البيان للطبرسي ١/ ١٥ عن المسائل الطرابلسيات للسيد المرتضى).

ولقد عرف واشتهر هذا الرأي عن الشريف المرتضى حتى ذكر ذلك عنه كبار علماء اهل السنة والجماعة واضافوا انه كان يكفّر من قال بتحريف القرآن (ص١٦ الميلاني).

وتابع الطوسي محمد بن الحسن الملقب بشيخ الطائفة (ت٤٦٠هـ)من سبقه من العلماء في هذه القضية المهمة فقال: ((واما الكلام في زيادته ونقصانه فما لا يليق به ايضاً، لانه الزيادة فيه مجمع على بطلانها)) (التبيان في تفسير القرآن ١/ ٣).

ومثل تلك الاقوال ما ذكره الفضل بن الحسن الطبرسي الملقب بـ(امين الاسلام) (ت٥٤٨هـ) ما نصه: ((ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه، فانه لا يليق بالتفسير ما الزيادة فمجمع على بطلانها، واما النقصان منه فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان في القرآن تغييراً و نقصاناً. والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه)) (مجمع البيان ١/ ١٥). اما العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ) في بعض اجوبته عن موضوع التحريف قال: ((الحق انه لا تبديل ولاتأخير ولاتقديم فيه، وانه لم يزد ولم ينقص...)) (اجوبة المسائل المهناوية ١٢١).

وهذا علم آخر من اعلام الشيعة الامامية البهاء العاملي (١٠٣٠هـ) يقول: ((والصحيح ان القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كانت او نقصاناً، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾)) (اورده الشيخ البلاغي في الآء الرحمن ٢٦).

اما صاحب بحار الانوار الشيخ المجلسي (ت١١١٠هـ) وبعد ان اخرج الاحاديث

الدالة على نقصان القرآن قال: ((ان الاخبار التي جاءت اخبار احاد لا يقطع على الله تعالى بصحتها (بحار الانوار ٧٥، ٨٩).

وقال السيد مهدي الطباطبائي الملقب ببحر العلوم (ت١٢١٢هـ) ما نصه: ((الكتاب هو القرآن الكريم والفرقان العظيم والضياء والنور والمعجز الباقي على مر الدهور، وهو الحق والذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من لدن حكيم حميد، انزله بلسان عربي مبين هدىً للمتقين وبياناً للعالمين...)) (الفوائد في علم الاصول مبحث حجية الكتاب (مخطوط).

واكثر الاراء السالفة تلك الشيخ الاكبر جعفر آل كاشف الغطاء (ت١٢٢٨هـ) ما نصه: ((لاريب في ان القرآن محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان، كما دلّ عليه صريح الفرقان واجماع العلماء في جميع الازمان ولا عبرة بالنادر، وما ورد من اخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها ولا سيما ما فيه نقص ثلث القرآن او اكثر منه، فانه لو كان كذلك لتواتر نقله، ولتوفر الدواعي عليه، ولا تخده غير اهل الاسلام من اعظم المطاعن على الاسلام واهله، ثم كيف يكون ذلك وكانوا شديدي المحافظة على ضبط آياته وحروفه؟؟. فلابد من تأويلها باحد وجوه)) (كشف الغطاء عن مهمات الشريعة الغراء، كتاب القرآن٢٩٩).

وهذا حفيد الشيخ جعفر المذكور اعلاه وهو من اعلام الحوزة النجفية وابرز فقهائها الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) يؤكد في كتابه (اصل الشيعة واصولها ١٠١ -١٠٢، ط١٥) نفي التحريف فيقول: وان الكتاب الموجود في ايدي المسلمين هو الكتاب الذي انزله الله اليه للاعجاز والتحدي ولتعليم الاحكام وتمييز الحلال من الحرام. وانه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا اجماعهم، ومن ذهب منهم او من غيرهم من فرق المسلمين الى وجود نقص فيه او تحريف فهو مخطئ يرده نص الكتاب العظيم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

وهذا عالم آخر من علماء المسلمين الشيعة السيد عبد الحسين شرف الدين

(ت١٣٧٧هـ) فيقول: فان القرآن العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرقنا بجميع اياته وكلماته وسائر حروفه وسكناته، تواتراً قطعياً عن ائمة الهدى من اهل البيت عليهم السلام لا يرتاب في ذلك الا معتوه، وائمة اهل البيت عليهم السلام كلهم اجمعون رفعوه الى جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تعالى، وهذا ايضاً مما لا ريب فيه.

واخيراً سئل الفقيه السيد محمد هادي الميلاني(ت١٣٩٥هـ) عن رأيه في المسألة فاجابه: ((ان الذي نقطع به هو عدم وقوع اي تحريف في القرآن الكريم، لازيادة ولانقصاناً ولاتغييراً في الفاظه...)) (تلخيص التحقيق في نفي التحريف ص٢٢).

وصفوة القول ان الذي ذكرناه صرّح به كبار علماء الامامية منذ الطبقات الاولى كالشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، والشيخ الطبرسي وهم جميعاً يعتقدون بما صرح به رئيس المحدثين الشيخ الصدوق في كتاب (الاعتقادات) الذي الفه قبل اكثر من الف سنة حيث قال: (اعتقادنا ان القران الذي انزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين، وهو ما في ايدي الناس ليس باكثر من ذلك).

الى ان قال: (ومن نسب الينا انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب).

والحاصل: ان من تأمل في الادلة وراجع تاريخ اهتمام المسلمين في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وبعده بضبط القرآن وحفظه ودراسته يقطع ان سقوط الكلمة الواحدة منه محال، ولو ان احداً وجد حديثاً يفيد بظاهره التحريف وظن صحته فقد أخطا ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾[سورة النجم: ٢٨].

وللشيعة الامامية ادلتهم الصحيحة على نفي التحريف وعدم وجود النقص او الزيادة وهي من القوة والمتانة بحيث يسقط معها ما دل على التحريف مظاهره عن الاعتبار لو كان معتبراً ومهما بلغ في الكثرة ويبطل القول بذلك حتى لو ذهب اليه اكثر العلماء.

وقد عقد المؤلف السيد الميلاني –حفظه الله تعالى– فصلاً كاملاً (ص٢٧ –٤٣) في ادلة الشيعة على نفي التحريف.

اولا: ايات من القرآن الكريم وهي تدل بوضوح على صيانته من كل تحريف، وحفظه

من كل تلاعب في الفاظه زيادة ونقيصة ومن ذلك قول العلي العظيم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[سورة فصلت: ٤٠ -٤٢].

واذاً فالقرآن العظيم لاياتيه (الباطل) من بين يديه ولا من خلفه فان من اظهر مصاديق (الباطل) هو وقوع (النقصان فيه).

فهو اذاً مصون من قبل الله تعالى عن ذلك منذ نزوله الى يوم القيامة.

وهناك آيات أخرى تدل على نفي التحريف ومنها:

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[سورة الحجر: ٩].

والمراد بالذكر في هذه الآية الكريمة على الاصح هو (القرآن العظيم).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [سورة القيامة: ١٦ -١٩].

نحن ابن عباس وغيره في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾ ان المعنى: ان علينا جمعه وقرآنه عليك حتى تحفظه ويمكنك تلاوته، فلا تخف فوق شيء منه (مجمع البيان للطبرسي ٥/ ٣٩٧).

هذا ما ورد في كتاب الله العزيز اما الاحاديث المروية عن الرسولﷺ والائمة الاطهارعليهم السلام والتي تعد المصدر الثاني من مصادر الاحكام والعقائد الاسلامية هو السنة النبوية الشريفة الواصلة الينا والاسانيد المعتبرة.

وعلى هذا فاننا لما راجعنا السنة وجدنا الاحاديث للتكثرة الدالة باقسامها العديدة على ان القرآن الكريم الموجود بين ايدينا هو ما انزل على النبي الاعظمﷺ من غير زيادة ونقصان، وانه كان محفوظاً مجموعاً على عهدهﷺ وبقي كذلك حتى الآن وانه سيبقى على ما هو عليه الى الابد. وهذه الاحاديث على اقسام وهي:

١. احاديث العرض على الكتاب: لقد جاءت الاحاديث الصحيحة تنص على وجوب

عرض الخبر من المتعارضين، بل مطلق الاحاديث على القرآن الكريم، فما وافق القرآن اخذ به وما خالفه اعرض عنه، فلولا ان سور القرآن وآياته مصونة من التحريف ومحفوظة من النقصان ما كانت هذه القاعدة التي قررها الائمة من اهل البيت عليهم السلام آخذين من اياها من جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أمكن الركون اليها والوثوق بها.

ومن جملة الاحاديث قول الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ((خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال: ايها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فانا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم اقله. (وسائل الشيعة ١٨/ ٧٩).

وعن الامام الصادق عليه السلام ايضاً قوله: اذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه...)) (وسائل الشيعة ١٨/ ٨٤).

وقول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ((... فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان في كتاب الله موجوداً حلالاً او حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن في الكتاب فاعرضوه على سنن النبي صلى الله عليه وآله...)) (عيون اخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٢٠).

فهذه الاحاديث ونحوها تدل على ان القرآن الموجود الآن هو نفس ما انزله الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وآله من غير زيادة ولا نقصان، والائمة لو لم يكن كذلك لم يمكن ان يكون القرآن مرجعاً للمسلمين يعرضون عليه الاحاديث التي تصل اليهم عن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله.

٢. خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم وفي هذه الخطبة امر صلى الله عليه وآله بتدبر القرآن والرجوع في تفسيره الى امير المؤمنين عليه السلام حيث قال صلى الله عليه وآله: ((معاشر الناس تدبروا القرآن وافهموا آياته وانظروا الى محكماته، ولاتتبعوا متشابهه. فو الله لن يبيّن لكن زواجره ولا يوضح لكم تفسيره الذي انا اخذ بيده ومصعده الى وشائل بعضده ومعلمكم ان: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وهو علي بن ابي طالب عليه السلام ووصيي وموالاته من الله عز وجل

انزلها عليّ)) (الاحتجاج ١/ ٦٠).

٣. حديث الثقلين حيث لم تمـــــر على النبي الكريمﷺ فرصة الا وانتهزها للوصية بالكتاب والعترة الطاهرة والامر باتباعهما والانقياد لهما والتمسك بهما. لذا تواتر عنهﷺ حديث الثقلين الذي رواه جمهور المسلمين باسانيد متكثرة متواترة ((اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً)) وهذا يقتضي ان يكون القرآن الكريم مدوناً في عهدهﷺ بجميع آياته وسوره حتى يصبح اطلاق اسم الكتاب عليه. ولذلك تكرر ذكر الكتاب في غسر واحد من سوره الشريعة.

٤. الاحاديث في ثواب قراء السور في الصلاة وغيرها، وقد وردت طائفة من الاحاديث في فضيلة قراءة سور القرآن الكريم في الصلاة وغيرها، وثواب ختم القرآن وتلاوته في شهر رمضان وغير ذلك. ولو كان تطرق النقصان في الفاظ القرآن لم يبق مجال للاعتماد على شيء من تلك. الاحاديث والعمل بها من اجل الحصول على ما تفيده من الاجر والثواب، لاحتمال ان تكون كل سورة او كل آية محّرفة عما كانت نازلة عليه.

٥. الاحاديث الامرة بالرجوع الى القرآن الكريم واقوال امير المؤمنين، وهي كثيرة جداً منها قول امير المؤمنينعليه السلام: ((واعملوا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا نعش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان: زيادة في هدى او نقصان في عمى، واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من فاقه، ولا لاحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من ادوائكم، واستعينوا به على لاوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والتفاف والغي والضلال فاسالوا الله به وتوجهوا اليه بحبه ولاتسالوا به خلقه، انه ما توجه العباد الى الله بمثله. واعلموا انه شافع مشفع، وقائل مصدق، وانه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه...)) (نهج البلاغة ١٧٦/ ٢٠٢).

كل ذلك يقتضي ان يكون ما بايدينا من القرآن هو القرآن نفسه الذي نزل على الرسول المصطفى ﷺ وعرفه امير المؤمنين عليه السلام والائمة الاطهار والصحابة والمسلمون اجمعون.

٦. اما القسم السادس وهي الاحاديث التي تتضمن تمسك الائمة من اهل البيت عليهم السلام بمختلف الآيات القرآنية حيث روى المحدثون من الامامية احاديث متكاثرة جداً عن الائمة الطاهرين تتضمن تمسكهم بمختلف الآيات عند المناظرات وفي كل بحث من البحوث.

٧. اما القسم الأخير فهي الاحاديث التي تنص على ان ما بايدي الناس هو القرآن النازل من عند الله.

ومن الادلة على عدم نقصان القرآن الكريم اجماع العلماء القدامى والمحدثين سنة وشيعة على ان القرآن هو بين الدفتين وما في ايدي الناس والدليل الآخر على عدم النقصان في كتاب الله تواتره من طرق الامامية بجميع حركاته وسكناته، وحروفه وكلماته وآياته وسوره تواتراً قطعياً عن الائمة الاطهار عن جدهم المصطفى رسول الله ﷺ.

اما الدليل الآخر في نفي التحريف والنقصان في القرآن اعجازه حيث ان التحريف ينافي كون القرآن معجزاً لفوات المعنى بالتحريف، ولان مدار الاعجاز هو الفصاحة والبلاغة الدائرتان مدار المعنى، والقرآن معجز باق.

والدليل الآخر هو اعتقاد الامامية بعدم سقوط شيء من القرآن صلاتهم لانهم يوجبون قراءة سورة كاملة بعد الحمد في الركعة الاولى والثانية من الصلاة الخمس اليومية من سائر سور القرآن. واما كون القرآن مجموعاً على عهد النبي ﷺ فهو الدليل القاطع على عدم وجود النقصانية وفي الاخبار المروية عن جماعة الصحابة انهم ختموا القرآن على عهد الرسول ﷺ وتلوه وحفظوه. وقد اهتم النبي ﷺ وحرص على نشر سور القرآن بين المسلمين بمجرد نزول آياته مؤكداً عليهم حفظها ودراستها وتعلمها مبيناً لهم فضل ذلك وفوائده في الدنيا والاخرة وترغيبه بحفظ القرآن في الصدور والقراطيس

ونحوها مما ثبت بالضرورة بحيث لا مجال لانكار المنكر وجدال المكابر.

وفي القسم الثاني من كتاب السيد الميلاني -اعزه الله -يتناول اراء اهل السنة في التحريف لا مجال لذكرها خشية الاطالة وعدم اتساع صفحات المجلة الزاهرة (المصباح) لها. وختاماً وفق الله العاملين بخدمة نشر الفكر القرآني واشاعة الثقافة القرآنية واعز الله كل من خط حرفاً او كتب بحثاً او نشر كتاباً فيه اعلاء شأن الكتاب العزيز انه سميع الدعاء.